

-٦٥-

من يعتد بهم هنا هو «الدكتور إبراهيم أنيس» وسأعرض فكرته باختصار شديد.

في كتابه «من أسرار العربية» تناول الموضوع تناولا هادئا طويل النفس جميل العرض ، فتحدث عن نشأة الإعراب وتمكنه ثم تعقده ، وأن النحاة قد اخترعوه ونسقوه ، وجعلوه حصنا لهم يؤكفون من خلفه لأنفسهم القوة المادية والمعنوية «فقد صارت قواعده معقدة شديدة التعقيد ، وقد تفنى الأعمار دون الإحاطة بها أو السيطرة عليها ، وصرنا الآن ننفر منها لما اشتملت عليه من تعسف وتكلف ، بغض إلى الكثيرين دراسة اللغة في العصر الحديث .»

هذه الظاهرة ونظامها وقوانينها مخترعة إذن ومزيفة ، وكل هذا التراث المتضخم منها قام على أساس غير موضوعي وغير علمي ، وليس من شأنى فيما أنا بصدهه أن أخوض فى تفصيلات رأيه ومناقشته - فلذلك موقف آخر - ولكن أخص اتجاهه العام فقط فى عبارات قصيرة :

الأصل فى الكلمات أن تشكل أواخرها بالسكون ، وهكذا كان الأمر فى القديم ، وتحرك أو اخل الكلمات يكون لأسباب صوتية يدعو إليها وصل الكلام ، والذي يحدد الحركة قانونان صوتيان هما :

١- إثثار بعض الحروف لحركة معينة كحروف الحلق مثلا التى تؤثر الفتحة .

٢- الميل إلى تجانس الحركات فى الكتلة الكلامية الواحدة .

ياختصار : إن الإعراب عمل ألى يدعو إليه النطق المتصل فى الكلام دون أن يكون وراءه معنى أو نظام ، مما جهد النحاة فى تتبعه والتأليف فيه حتى دخلوا متاهات ضل فيها السالكون .

هذا الافتراض العلمى على الرغم مما فيه من جرأة يقف قاصرا أمام أهم ما لدينا من نصوص لغوية هى : الشعر والقرآن ، وإذا استطاع أن يفسر بعض الظواهر الجزئية ، فإن الكثرة العامة فى هذه النصوص تخالفه تماما وتجافيه، وهو بصفتيه هاتين - الافتراض والقصور عن تفسير النصوص العربية الصحيحة - لا يحل لنا المشكلة الموجودة فعلا ، وهكذا بقى افتراضنا قاصرا على الرغم مما أثاره ويثيره من مناقشات وجدل .